





مدى الجيل



صدى الجبل

آمنة مصبح علي القايدى

قصة لليافعين



قندیل | Qindeel

The Mountain's Echo

Amina Musabh Ali Al-Qaidi

صدى الجبل

أمنة مصبح علي القايدى

© 2017 Qindeel printing, publishing & distribtion

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية أم بالتصوير أم بالتسجيل أم خلا ف ذلك، إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابةً مقدماً.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

موافقة « المجلس الوطني للإعلام » في دولة الإمارات العربية المتحدة
رقم: 2017/10/6 MC-02- 01-3773764 تاريخ
ISBN: 978 - 9948 - 23 - 908 - 6



قنديل | Qindeel

للطباعة والنشر والتوزيع

Printing, publishing & Distribution

ص.ب: 47417 شارع الشيخ زايد

دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: info@qindeel.ae

الموقع الإلكتروني: www.qindeel.ae

© جميع الحقوق محفوظة للناشر 2017

الطبعة الأولى: تشرين الثاني / نوفمبر 2017 م - 1439 هـ

أُنجزت هذه القصة في مسابقة قصتي بالتعاون بين
مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة
ووزارة التربية والتعليم
في دولة الإمارات العربية المتحدة



الإهداء

إلى كل القلوب المزهرة عطاء في حياتي

.....

كل الشكر والتقدير



مسابقة قصتي

انطلقت مبادرة «قصتي» بالتعاون بين مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة ووزارة التربية والتعليم، في طرح مسابقة للقصة القصيرة على مستوى مدارس الدولة، تتمحور في موضوعاتها على (التراث الإماراتي.. مكنوناته ومكوناته).

وبإعلان شارة البدء بالمسابقة شَمَّر كل المعنيين بها عن ساعد الجد، من معلمين وطلاب، وأظهروا اجتهاداً منقطع النظير في تلك المنافسة العلمية المعرفية الراقية، في إبراز نتاج تلك الأقلام الواعدة السيالة، التي أثمر عنها قصص متفاوتة في القوة متفقة في الجهد المبذول من أصحابها، الذين فازوا جميعاً بشرف المشاركة والمحاولة، وإن كانت درجات لجان التحكيم قد حددت الفائزين الأوائل فيها.

إن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة، إذ تنشر القصص الفائزة بالمراتب الأولى في مسابقة «قصتي»،

فإنها تنطلق في ذلك من مبدأ المسؤولية التي تشرّفت بوضعها على عاتقها، من نشر المعرفة وإبراز إبداعات العقول الناشئة لوضعهم في بداية طريق الإبداع؛ لشق طريقهم ليكونوا من الأقلام المشار إليها بالبنان، وهذا ما تسعى إليه المؤسسة جاهدة في جميع مبادراتها؛ بدءاً من «برنامج دبي الدولي للكتابة» وليس انتهاءً بمسابقة «قصتي»، وبذلك فإننا نؤدي الأمانة التي حملتنا إياها قيادتنا الرشيدة في جعل العلم والمعرفة على قائمة مرتكزاتنا في مشروعاتنا ومبادراتنا، لإيجاد منافسات إيجابية تثمر نتائج تغيّر النظرة النمطية للحصص المدرسية التي لطالما وصفت بالجمود، ولتحرك همم المعلمين والطلاب آخذين زمام المبادرة في إثراء الساحة التعليمية بما هو مميز ونافع.

جمال بن حويرب

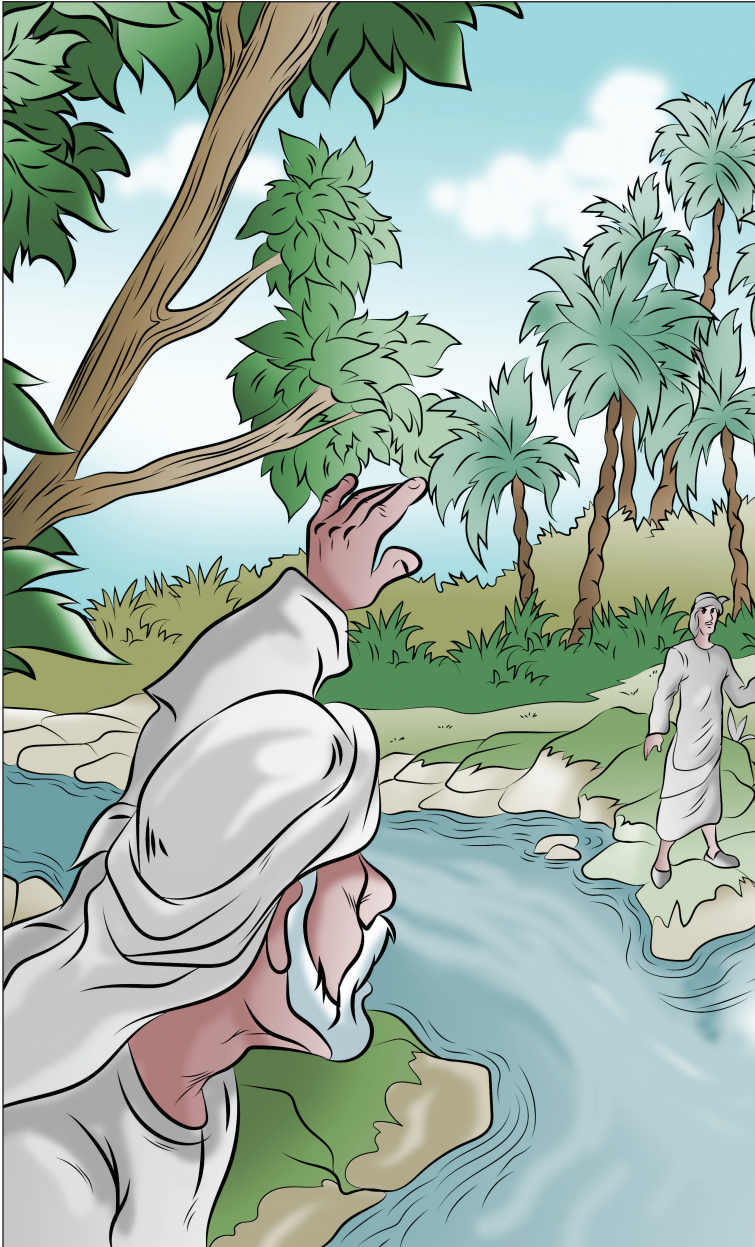
المدير التنفيذي

لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

كنت أنتمي إلى ذلك المكان، إلى تلك
الجبال، إلى تلك الطبيعة، وإلى هذا البلد. كم
أنا بأمس الحاجة لألمس يد أمي الغالية، وأقبل
رأس أبي الحنون للمرة الأخيرة؛ لأنني سأقدم
على السعي وراء القطوف الدانية.

أريد أن ألمس كل ما عشته وعهدته في ثوانٍ
فقط، أتحنس الرائحة، أشم الأشياء، أغني
بأناشيد أجدادي، وأنتشي برائحة البخور في
صباح العيد.

أقبل جذوع النخل، وأحمل السعف، وأجمعُ
(الخلال)، وأشرب من ماء الفلج بعد عناء يوم



طويل، وأردد سور القرآن بصوت عذب هادئ
تردها معي الجبال حولي؛ أرفع صوتي فتغار
الجبال بعُلُوها من علُوّه فتزيد من حدّة أصواتها،
أغار من صوتها فيعلو صوتي ويعلو؛ حتى أسمع
صوت أبي يهتف من بعيد: «هيا لنعد وكفاك
تحدياً للجبال يا جبل»، كنت أعشق تسميته لي
بالجبل، لدرجة أنني طلبت من الجميع أن يناديني
بالجبل، كنت أحمل أحلامي على كفي وأمضي
لأعانق أشجار النخيل، ولأحدّث الأرض بكلمات
ما زالت تَبْضُ هناك لأنني زرعتها وسقيتها
فحملت المعروف وما زالت تحمله؛ فتذكرنني
كلما مرّ طيف بجوار تلك الأرض العذبة.

أحببت جذوري كثيراً ولم أرغب في أن
أجتث نفسي عنها، أردت أن أستمّر في التحدي
حتى يطوى آخر أصواتي بجانب جذوري. جَمَعُ
من الشباب يلتحقون بالعمل في الشرطة، ولأننا
دائماً وسنظل أهلاً وإخوة قررت على مضض أن
ألتحق أنا أيضاً معهم، مع أشقائي وأبناء قريتي



الصغيرة الضاربة جذورها عميقاً بجوار جذور
الجبال الدائرة حولها.

انطلقت من بلدي المنيعي إلى رأس الخيمة،
انفصلت عن جبالي وعن جذورها، لكن
التحدي ظل رابضاً في عروقي، ركبت البحر
للمرة الأولى؛ فأنا سأكون من حراس الجزر؛
نعم، سأركب البحر للمرة الأولى؛ أفرغت
كل ما في معدتي احتفاءً بهيجان البحر وعلو
موجه، صمتت طويلاً؛ «حياة البحر صعبة»،
قلت لأصدقائي على المركب المتجه للجزيرة.
ردّ أحدهم: «سيصبح البحر صديقك، لا تقلق
أبداً، لا تقلق».

كثيرة هي التوقعات والمخاوف التي حيكت في
صدورنا نحن أهل الجبال تجاه البحر، ترتجف
أوصالنا كلما حاولنا ركوب البحر والتعود على
أهواله، يشكل الجبل مرساة وأمواجاً لنا، غير أن
للبحر قصصاً أخرى لا نحب سماعها.



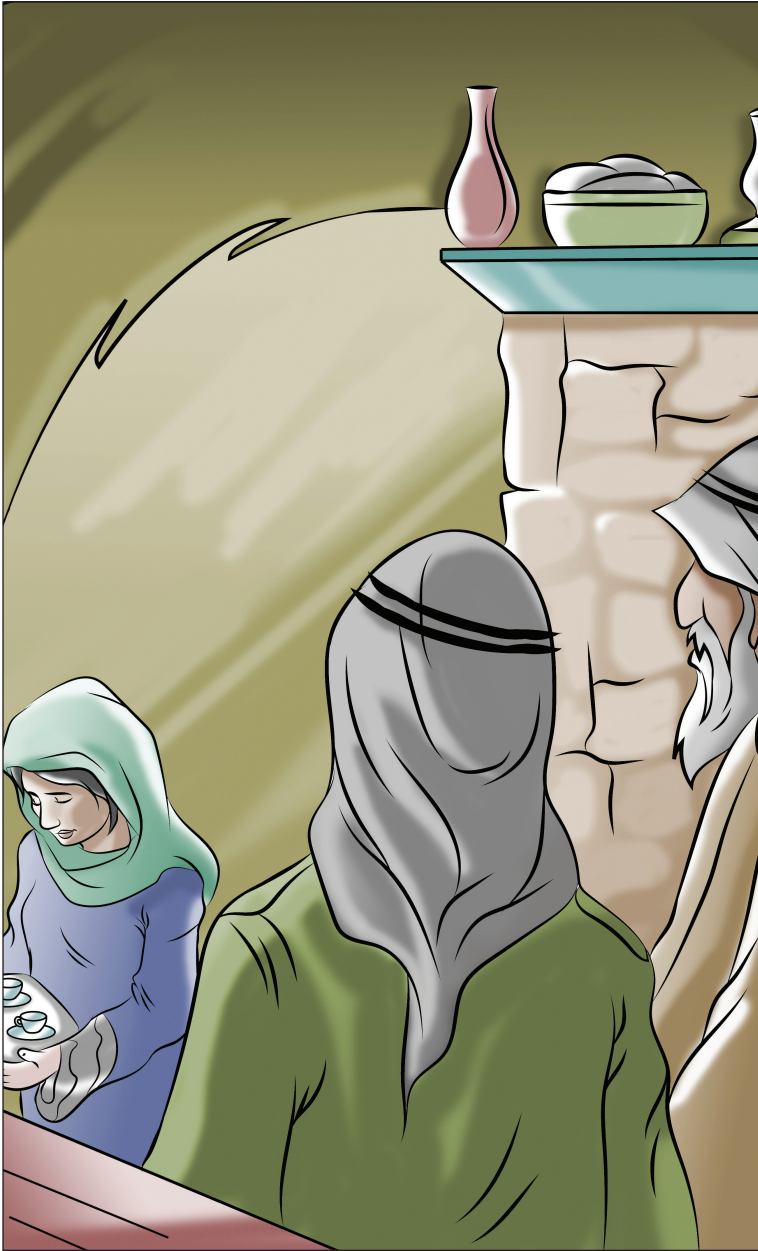
استسلمت لهواجسي عن البحر، ثم استسلمت لغفوة سرقَتِ التَّعبَ الذي كان في جسدي، حين لمحت اليابسة ابتسمت ابتسامة شوق وفرح لكل ما يتعلق بالتراب، الأرض تشبه أرضي، غير أن شيئاً ما سلبها لونها البني العتيق وأحالتها رمالاً شاطئية بيضاء، تهلّل أهل الجزيرة مرحبين بنا، دلّنا شابٌ قوي على موقع شرطة الحراسة، مرت الأيام بسرعة وأنا أرسو حيناً على الجبال البعيدة وحيناً على الشاطئ القريب.

أصبحت الجزيرة مُلكاً لي وأرضاً حفرت فيها أيضاً وحاورت ترابها ببعض نخلات أينعت وجنيت فيها لذيذ الرُّطْب الذي تلذذت وأنا آكل منه كأنني لم آكل تمراً قبل ذلك، تفاصيلها خَطَّتْ في ملامح جديدة شعوراً جميلاً، جبال جديدة تستقر في صدري محمّلةً بالكثير، فأنا شرطي حارس لهذه الجزيرة الحبيبة، لا أعرف هل استغرق عشقها طويلاً ليتسلل إلى قلبي، أم إنها في القلب منذ زمن لم أعهده ولم أشعر



به! أتعجب من شوقنا وانتمائنا كلنا نحن حراس الجزيرة لتلك الجزيرة؛ نودع أهلنا لنستقبل أهلنا ويستقبلونا، بات أهل الجزيرة ينتظروننا على الموعد، يعرفوننا فرداً فرداً، كما أصبحنا نعرف غالبيتهم أيضاً، إنهم نسائم جبال بلادي البعيدة، إنهم الجذور التي تخطت التراب وعبرت الجبال وسبحت في البحار راسيةً هنا، مؤكدةً أننا كلنا جذورٌ لتلك الشجرة الضاربة في القدم، خطَّ البحرُ في أيدي أهل الجزيرة قصصاً جميلة وحكايات لا نهاية لها.

تأملت كل شيء حولي كمن ينفذ عن عينه غشاوة الحياة، رددت قصيدة قلتها في هذه الجزيرة على مسمع زميلي سند، رددتها مراراً ليحفظها وصوت الغصّة ينساب بين كلماتها، نعم حفظها سند، وبدأ يغرد بها في أنشودة طويلة وأنغام حزينة، تفرقت الدموع على وجنتيه البيضاءوين، وهمَّ أن يغادرني قائلاً: «قصيدة جديدة تدمي القلب يا بن سهيل!».



ضحكت عليه بطريقة غريبة وهستيرية أثارت
استغرابه مني، ومن ضحكي غير المبرر،
تمالكت نفسي وقلت له: «تبكي من أجل قصيدة
تتغنى بالحياة، تدعوك للحرية يا طائر الجزيرة
الأبيض؟». ردّ عليّ بحدة: «حسناً يا جبل، حسناً
يا نخلة، حسناً يا جذور»، وغادرني غاضباً.

جلست وحدي أرقب النجوم التي كانت
تحكي لي ألف حكاية عن هذه الجزيرة وأهلها؛
تنقلني بين مد وجزر يعشش في أركانها، تقيدني
أكثر بين حبات الرمل البيضاء. لمحت في تلك
النجوم أيضاً شيئاً غريباً؛ لمحت انعكاساً لي؛
كيف عكستني الجزيرة أنا أيضاً من حيث لا
أشعر! أتلمس القمر الذي كان يغطيني دون أن
يقربني، وأصاح الرياح التي كانت تشاكسني
كلما غفت عيناى.

استيقظت في الصباح لأتفاجأ أنني نمت في
الخارج، توضأت وبحثت عن سند الذي ابتسم



لي ابتسامة معذرة، وابتسمت له بدوري ابتسامة
مذنب قليل التهذيب، وانطلقنا لنصلي معاً. عدنا
للحراسة وانطلق زميلانا للنوم بعد سهر مراقبة
في ليلة قمرية هادئة، الليلة ستكون ليلة قمرية
لي ولسند أيضاً؛ نستمتع بالحراسة في مثل
هذه الليالي، دعاني العم محمد في ذلك النهار
لأتناول عنده حبات من التمر الذي أحفظ
أنواعه وأتلذذ بطعمه، وفنجان قهوة عربية.

سقطت الفناجين متكسرة من بين يدي فتاة
بيضاء كنجمة لامعة، بدت لي كجبل أعلى مني
أنا، ارتبكت حين وجدت رجلاً في مجلس
والدها الشيخ، ركضت بسرعة قصوى حاملة
معها أحلاماً وأمانى حيكت في ثوانٍ معدودة؛
في حياة قادمة، في استقرار مأمول. رد الشيخ
محمد بسرعة: «سامحني يا بني، نسيت إخبار
الأهل عن وجود ضيف، وابنتي هذه خجولة
جداً، سامحنا يا بني».

انتظرت حتى عاد العم بفناجين جديدة
وتناولت حبات التمر وشربت القهوة اللذيذة،
لكن الخجل كان واضحاً عليّ، اعتذرت من
الشيخ لأعود لحراستي وأنا أحمل شعوراً غريباً،
تخيلتها قليلاً وأنا أعد خطواتي نحو المنارة، غير
أنني أبعدت تلك الأفكار، وحيّيت سندا بطريقة
أعجبته، حتى قال لي: «في وجهك اليوم قصيدة
للحياة غير قصيدة البارحة الحزينة». رددتُ بلا
شعور: «بل قصائد يا سندا!».

ابتسمت وقلت له: «سأذهب لأعلى المنارة يا
سندا، أشعر بأمر مريب هذه الليلة!».

كنت وأنا أعدُّ خطواتي نحو المنارة أحس أن
البحر يخبرني بشيء؛ أن شيئاً يقترب من الشاطئ،
غير أنني تغافلت عن ذلك كي لا أمكث كثيراً
في أعلى المنارة. صعدت إلى أعلى المنارة،
جُلتُ ببصري في البحر البعيد؛ متسائلاً عما
يخبئه هذا البحر لي. لطالما سمعت قصص

الغواصين وتمنيت أن أتعلم الغوص، وأن أصطاد اللؤلؤ؛ لأتمكن من قص قصص البحر وأهواله على أصدقائي بين الجبال البعيدة، لطالما حلمت أيضاً أن يمتزج صدى جبالي مع هدير البحر؛ كثيرةٌ هي أحلامي عن البحر. ما هذا؟ إنني أرى شيئاً يقترب من الشاطئ، يا إلهي! إنها قوارب كثيرة تقترب بسرعة وخفية من الشاطئ، نزلت من المنارة مهرولاً وأنا أنادي: «الأعداء! الأعداء! إنهم بالقرب من السيف!». حملت سلاحي؛ وانطلق سند لاستنفار زملائنا من الحراس، ليهبوا معنا مدافعين عن الجزيرة، انتبه أهل الجزيرة لصدى صوتي الذي انتزع قلوبهم فهبوا مدافعين عن جزيرتهم.

تقدمت أنا مسرعاً مقداماً لأستقبل الأعداء برصاص رشاشي محاولاً منعهم من وضع أقدامهم على جزيرتي، لحق بي زملائي يتدافعون، وصلوا حينما كانت رصاصات العدو



قد استقرت في صدري، تلقيتها وأنا أستعيد كل
أيامي بدءاً بصدى الجبل وانتهاء بصدى صوتي
على الجزيرة، سحبني سند وهو يردد قصيدتي
الأخيرة ويبيكي، تركني مع قبلة على جبهتي
السمراء وانطلق للمواجهة.

كان الأعداء أكثرَ منا عدداً وسلاحاً، كانوا
مصرين على اقتناص كل الأرواح مقابل الأرض،
فاضت روحي وأرواح زملائي، لم يُبقِ العدو منا
واحداً، حاصروا الجزيرة، واستولوا عليها بالقوة،
نادت الجزيرة حراسها دون مجيب، وبقي سالم
وزملاؤه ذكرى للجزيرة وأهلها وترابها.